في حضرة الموت

شعر

عماد الدين غانم

في حضرة الموت

1



الطبعة الأولى

٢٠١٦

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الأردنية

(٢٠١٦/١/٢٥٠) مركز الإيداع ٣٢٧,٩٥١٠٦٠

ISBN 978-9957-594-50-3

في حضرة الموت

عماد الدين غانم

دار الجنان للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي – مجمع جوهرة القدس التجاري – ط(**M**)

- هاتف: **00962 6 4659891** تلفاكس: **00962 6 4659892**
- موبايل: **00962 795747460** موبايل: **00962 796295457**
- هاتف السودان – الخرطوم **00249 918064984**
- ص.ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ العبدلي
- البريد الإلكتروني: **dar_ jenan@yahoo.com**

daraljenanbook@gmail.com

في حضرة الموت

عماد الدين غانم

إهداء

إلى **...**أبي وأُمي ، حُلمينِ مُختلفين جميلين**.**

أخي **...**وابن أمي الوحيدة جهاد ،

إلى **...**أختي وصديقة روحي**.**

إلى ..... ليان زهرة المَنفى وابنة أخي ، في انتظار

رؤيتها لأول مرة**.**

إلى **...**صديق طفولتي أخي وصديقي محمد إشتية**.**

إلى ......موتي الجميل مايا **.**

وَإليك...

أصدقائي في المقهى

إهداء إلى صديقي في المقهى

"رائد الطويل"

أصدقائي في المقهى

لا أعرف أسماءهم

لكنني أتطفل على حياتِهم المُستديرة

ككأس النيسكافيه البارد

كجثة تمارس الموت منذ أسبوعين

لا يعرفون اسمي كذلك

لكننا نمارس الموت سوياً

مثل الأرامل نضاجع الحياة

بشكل بدائي

وعندما نرحل

نودع طاولتنا

تاركين عليها مزاجيتنا

وسعادتنا البلاستيكية

أصدقائي في المقهى

حقيقيون بما يكفي

ليجعلوا من الحزن

صورة فوتوغرافية

نودعها في ألبوم طليق

أشخاص لاح بهم الموت

على طاولة خشبية

تمتص الحُزن الدفين

أصدقائي في المقهى

أوووف ....ما أجملهم

حين ينتشون على ضحكة مُميتة

ويدخلون إلى حقيقتهم

عارين من آدمية الشوارع

تُميزهم رائحة السجائر العربية

ورائحة النعناع المُمترسة في ملابسهم

المارين من الحياة الصعبة

حاملين رذاذ النسيان على أكتافهم

يُقَبلون قهوتهم بلا خجلٍ

من سجائرهم

يُقلبون أوراق الصحيفة

باحثين عن موتى مثلهم

طفوليون...

أصدقائي في المقهى

يُمزقون الموت قليلاً قليلاً

أرواحهم سبائك ذهبية

طريقهم ، يُلوِحُ بهم

بإتجاه ثكالى العالم

حيث يمزقون الحزن

مثل ورقة مِن فئة دولار واحد

لا يملكون صورة

لِنسائهم في الطرف الأخر مِن العالم

كل ما يملكون

هو رقم هاتفي ، ورسالة صوتية

آه ...كم هي موجعة تلك الرِسالة

حين تأتي في يوم عطلة

أصدقائي في المقهى ، ثلاث

وبعد صيفٍ

سأكون أنا الصديق في المقهى

هُناك الهلاك أجمل من هُنا

وضعتُ في حُنجرتي

شيئاً يُشبه الموتَ الذي لا يُشبهُ شَيء

وَسِرتُ نحوَ الهلاك

لم أُميز ما قاله الرُّواة عن هذا التاريخ

ولم أُفرق بيني وبيني

حين مُتنا على غير عادةٍ

على شَجرةٍ منَ الصَنوبر في يافا

هُناك الهَلاك أجمل من هُنا

أُعِدُ ما أَعدَدتُ مِن شراب التاكيلا

لاذعاً كهذا المساء الفجّ

أثمل ، لا لأنسى

بل لألتحم مع آخري الَّشخصيّ

ونُحول الخَطيئة قصيدةً نَثريةً

مُفعمةً بالحَميمية
وَنَمشي في أجسادِنا سِراً
- مَن أنتَ أيها المَذبوح في القصيدة ؟
قال صوتٌ خافِتٌ خائِفٌ مني
قُلتُ :أنا مَن يُرتب اللَيل
وَلي طِفلان داخلي
لَم يُعرني صوتي الخافتُ الخائفُ مني إنتباهاً
فأختصرتُ الطَريق نَحو الهَلاك

دم الأيائل في الخريف

دَمُ الآيائِلَ في الخريف
يصغي إلى جدارية الموتى
ولا تُريد الخروج من حنينها
ودَمُ الأيائِلَ صار صديقاً لبارات الشُعراء
فأستعدت أربعين كائِنًا حَيْ
سألتقي ببدايتي ، ونهايتي
لكن الرياح تغفو على صفصاف صَدري
وَلم تُجبني
كم آدمياً قَتلت في المساء
وجزيرة الأشياء مِثل الأزقة الضيقة
تهاجر منها الأيائِل
إلى اللامكان...
ومِن جدارية القلب الُأنثَوية

إلى اللامكان...

وأسرق لازورد عَينيها

لأُكمل ما عجز الشُعراء عنه

خَريف الدم يضيعُ في صَخبٍ

وعابر النَخيل يُمزق لحمه

ليكتب قصيدةَ حِبرَ الدَمِ

وتقول الآيائِلُ:

غَطي الخَريف ،

فدَمي كَلسعة الجَليل تماماً

- كم نحتاج وقتاً للسُخرية ؟

- ثلاث أيائِل...وخريف

- وكم عاماً نحتاج للأُغنية ؟

لا شيء ...

الأُغنية ستأتي بعد ربيع قَلبي مباشرةً

بألوانها السَبع ...

ومصيرُ الآيائِلَ الآن بيد الخريف

فاخرجي مِن ظَهر الكِتاب

بين السَنونو والصَنوبر

يجلس حارساً يبدل الأدوار

ويخفف الأغطية عَن النائِمين الثَكالى

يا دَمَ الأيائِلَ في الخَريف

اخرج مني

وأترك لي تحيةً كهذه

لِأُكمل عَن دَمِ السَنونو في الشِتاء

من صَّلى على يافا

أعرف قتلاي جيداً ،

تميزهم علامات الانتصار

إيقاع القتل يختلف

كانت كاريزما الجريمة أخر أحلام يافا

فأخبرتها عن مَن صَلى إليَّ

ومن صلى عَليَّ

وحولته رمال الأبيض المتوسط إلى حلمٍ

يُشتهى...

عكا صديقة يافا الوحيدة ، والأخيرة

فترسل لها مع الموج رسالةً في زجاجة

ونساء عكا يمشطن الطريق إلى يافا

الى أن يصلنَ ، يُصافحن قدرة الله في صُنع القصائِد

المساجد

والكنائس

والنساء...

والقصائد تتعرى أمام البحر في الفجر

موجةً أخرى بهواء لم يَجف

لم نترك في يافا مكاناً للنوم أو للقتل

علينا أن ندفن الأرض في أجسادنا

ونسأل...

من صَّلى على يافا؟

يصير من الحُلم حُلمان

لص المدينة الصغير قد كَبُر

ولو استطعت

ملكتُ الدقيقة ساعتان

ولكن الدقيقة صارت فتاة

وأغنيتي تسقط كالنداء من مكانٍ بعيد

هل كان من حقها القُدوم كالصدى ؟

سأخلع يافا من يد الصفحة الأولى

وأنقل العنوان من حيث جئنا

خريفٌ جديد مع ربيع الكتابة

ولا مكان للشتاء في هذه القصيدة

رائحة الندى تنقش الصهيل

حيث تُولد الخيول على راحتي

فإن مِتُ قبل هذا

ألدُ المهر الأخير

وليَكُن

شاعر هذه القصيدة ، حصان

هُنا نحن جزءاً من هناك

أغنيةً من هلاك

نسحب ظلها ،

ها هنا بحرٌ وأجنبية

خُذنا إلى حلمنا ،

إلى ما نشتهي ،

إلى شجرٍ

يَتعرى لنعرف كيف يصير الفجرُ شُعاع

فلنرحل إلى ما نريد أن نصير

سأحمل من حُلمي وَمن لَحمي قليلاً

ليصير مني ، عند أخر غيمةٍ

سنخرج ، عندما يهبط البحر أكثر

ونعيش كالآدميين

بلا قصيدة ، أو فجر ، أو أجنبية

لكي نموت أمسيةً كاملة

ليتني قمراً ، لكي أقول ما لا أقول

إن حُلمي عكس حُلمي (محمود درويش)

ليتني حلماً لأرجم نفسي

ساعة الحائط تعكس صورتي

ما هي ؟

أيامٌ مضت وأخرى سوف تأتي

لمن هي ؟

لحارس البحر الليليّ

ينتصر الغريب على حُلمنا

خسرنا كثيراً

صَّدقنا خريف الكِتاب

أنا لست من ورق

نريد الآن بغداد صورةً

نريد باريس حُلماً

نريد شيئاً

نريد شيئاً ...

روما قصيدتي التي لا تنتهي

لم يعرف التاريخ سبب الحرب في روما

شباك أمي يطل على الحرب

تكاد لا تنتهي

الحرب ليست مهنتي(محمود درويش)

روما عليك السلام

ذهبنا ولم يذهب الحب معنا

هو من رآنا خارجين منها كالتحية

أنا ،

لغتي ،

ومِرآة زوجة قلبي

لنا ما قاله الرواة عن روما

ولنا

كل شيء هناك

وكل شيء هنا

نحب الاسم عما قليل

وعما قليل نسلك الطريق الأول

لا بُد من خريف

يحمينا

من الغزالة ،

يا إله هذا الحرب

تطلع الجدران من رماد البحر

روما ، بحرٌ أمامي

وفجرٌ ذهبيّ

أيها الشجر ...

غَطي ساحلاً من أقصى اليمين

أيها الحجر ...

ارجم ساحلاً من أقصى اليسار

روما قصيدتي التي لا تنتهي:

قلت الوداع إليك
في الحرب أو في السِّلم
سأفتح حقل قمح
لا لنمضي ، لنقضي على حربٍ ما
سنمكث على ضفة النهر
يومين أو ثلاث
ربما حتى انتهاء الحرب
حراس روما ، وقصيدتي
لا يَختلفون
عن رصاصةٍ أخرى في مِرايا الموت
ليت قلبي لي لأرد عليكم التحية
أصدقائي .
ليتني أُغنية
أو
أُمنية

ليتني شيئاً

أو وردة يابسة على جسر قلبي

لم أعتد عَلى الرحيل بعد

بُكاء الناي فوق الكِتاب

يحمله يمام عبر كل الأزمنة

ولتكن روما...مدينة ابن أمي

ولتكُن أختُ المستحيل

الآن وقت رحلة صيد

الآن يبدأ رثاء فجرٍ تحطم على باب روما

وقت نُنادي عظام رؤوسِنا

إلى رحلة ما ،

ربما رحلة أبدية

الفضاء ينكسر يا روما

نُريد أن نحيا قليلاً

عشر دقائق

فقط عشر دقائق

إعترافات مُتأخرة

إعتراف رقم ـ 1 ـ

مايا_لا تُحلق مِثلي

فاختلفنا على مكان إقامتنا

قُلتُ :هُنا

قالت :لا بل هُنا

فعرفت أني لا أُجيد الموت

مثلها

وليست مثلي حقيقية

مايا ، هي صورة خيالية

وصُنع البلاغة في لُغتي

فالأُفق الواسع أمام الشُعراء

يستطيع صُنع النِساء

تماماً كما يستطيع صُنع القصائِد

إعتراف رقم ـ 2 ـ

أخاف مِن قصائدي

فأحاول معها مراراً ومراراً

أن أجعل منها نافذةً مُحكمة المشاعر

وأكتفي بما تتركه لي

على ناصية الحُلم

هُناك إيقاع مُتعةٍ في خوفي

سأدفع له أجره

ليزداد عندما ينشق الرُخام مني

ويصير جزءاً من وحدتي

ولا أشعُر بإهانة عند العجز في لُغتي

فأرى القصيدة غرفةً

تجمعني وَخوفي في عبارة واحدة

فلا أنا حر

ولا خوفي يزول

إعتراف رقم ـ 3 ـ

أنا مجنون

وأسرق البلاغة في شِعري

من مجنون أخر مثلي

أمارس عادتي السرية

مع كتاب لأبي الطيب المتنبي

لا مع إمرأة عشرينية ثملة

ولا زلت أبحث عن نفسي

فيما يدلفه الحائط من وجوه

وأسماء

وجرح مُمَترس في زحام اللقاء

على سرير غرفة نومي

أذكر حين ضاجعني دهاء البلاغة

فأنجبت أعترافاً

هذا الإعتراف

إعتراف رقم ـ **4** ـ

أنا لست شاعراً

أمِن أحد غير من رحلوا

يصيبه هاجسٌ

أنه كان شيئاً فيما مضى؟

أم أن يمام المنافي يلعننا

فنعتقد ما كنا سنصير

بعد هزيع شوارعنا؟

إذاً أنا لستُ شاعراً

أنا ، شِعري ، والشاعر فيّ

كلنا هواجس مضت

فتشاجرت مع اسمي

إلى أن بللني مجاز الشُعراء

وتواطأ معي شاعر ما

تبادلنا أسماءنا

- أنت لست أنا

- أنت أنا

فصرت شاعراً

بعدما كنت نادلاً في مطعمٍ حقير

إعتراف رقم ـ **5** ـ

لا أُجيد الحب إطلاقاً

كهذا الجنديّ الغبيّ على الحاجز العسكريّ

لكنني أُجيد الحب حرباً

أو خطيئةً

لعبةً كنا نمارسها صِغاراً

مع أُمهاتنا في الملاجئ

- لو أني عامل نظافة

لكنت أُجيد الحب أكثر من هذا

لكن إنسانية الملاجئ أعدمتنا

شردتنا من قصائدنا

فما عُدنا سالمين

في ثغرة التحية

يمشي الشاعر كأنه يمشي

على مرمى مِن الموت

كذلك الجنديّ الغبيّ على الحاجز العسكريّ

لعابرٍ في حُلمي_قُلت_توقف

لعابرٍ في حُلمي_قُلت_توقف

لم أنه القصيدة

قال :وما ذنب المشاة في حلمك؟

قلت :هذا شيء أحتفظ به لنفسي

ولا يحق لسائح مثلك في حلمي

أن يسألني عما أخبئ في عتمتي.

قال :وهل هذا شكل من أشكال الكمال

في الشعراء؟

قلتُ :لا.

بل هذا ما أنا عليه ، وجوهر الشهداء

ارتجال الخيال من الواقع

وحلم أبي

قال :ومن أنت؟

قُلت :أنا المُمَترس في جرح مايا

ومايا

أنا المُتعثر في القصيدة

وما يُهيَّل من السماء من جمر

وثلاث كؤوس من نبيذ معتق

أنا الهواء الذي لا أرى

والكمنجات سريعة العزف

أنا من يسرق الممكن من هذا الغبيّ

المسمى بالزمن

أنا طيفٌ خفيفٌ طريفٌ كثيفٌ

يداعب الموت سراً

قال :هل كل هذا أنت؟

قُلت :لا .

أنا شاعر وحيد

قُلت للعابر في حلمي توقف

لكي أنهي القصيدة

صراع الموت في جسدي

أيها الموت

انتهى موعد إقامتك

على هذه الأرض

سئمتك أيها الموت

أيها القاتل المأجور

حين تأخذني على غير موعد

كنا رتبناه قبل هذا

ها هنا يَّنز من حياتي موت

بلا سببٍ يُقنع الحياة فيّ

أكتُب وصيتي الأخيرة

وأتركها كالحُلم على منضدةٍ قديمةٍ

يملؤها غبار روحَ روحي

ولا حياةً ستعيد لصدري

عضويَّ العاطفيّ
لا أخافك يا موت
ولا أخاف الخوف فيك
سأنفض الغبار
عما تبقى من حياتي
وأقتلك
أيها الموت
انتهى موعد إقامتك
على هذه الأرض
وأنا ، سآخذك على غير موعدٍ
كنا رتبناه قبل هذا ، أيها الموت

إنه الإنسان فيّ

إنه الأنسان في

يَقتُل ولا يُقتَل

إحدى صفات الموت تلك

أن يَقتُل ولا يُقتَل

إنه الأنسان فيّ

يزمجر في جلنار الموتى

لكي يستعيد شيئاً حقيقيّ

هكذا هم الجثث في المتحف

هكذا هو الإنسان فيّ

إنه الإنسان فيّ

يعيد التجانس إلى مقبرة الصحيفة

كان يُحب كل شيء جميل بهيّ

حتى ضحاياه مِن النساء

كان يُرتبهن بشكلٍ أبجدي

إنه الإنسان فيّ

إنه ...

الحيوانُ فيّ

ابن أمي الوحيدة

أخي

أبن أُمي الوحيدة

وَحَربتي في المصيبة

وضلع صَدري المُحتل

والحُر...

ها هنا أبتدأ اللقاء

يا زوج لحمي ، وَحُلمي

أخي

وابن أبي العربيّ

هذا لقاء الموتى أسمعه

يغوص في أعماق أعماقي

فلا تُحاول أن تُصالح

وأأتَمِن قبري عَليّ

أخي
حفيد الجسد فِيّ
وصراع الأصدقاء الطفوليون
ونسيم الأحياء في أخي
وأخي هو أنا في جسدٍ آخر
في مكانين مُختلفين
وهو ابن أُمي الوَحيدة
في حضرة الموت

هواجس على طريق الموت

أيها الموت

ادخل عليَّ من أقصى اليمين

برفقٍ

رويداً ، رويداً

اقتلني وأظهر ليَّ القليل من الحميمية

تورط فيَّ أكثر

عانقني

تمدد داخل لحمي

وحَلق نحو عظام رأسي

استقر بَين مُقلتي

وافقأهما

خُذهما كغنائم حربٍ طويلة

ثُم سِر

بين أحداقي

وغني

أغنيةً بسيطة

أيها الموت...تقدم

إن الحياة فكرةً لا تُراودني

يا شاعر البلد القديم .أخرج

((بالنسبة للانسان الذي لم يعد لديه

وطن تُصبح الكتابة مكاناً له ليعيش فيه))

"ثيودور أدورنو"

اخرج من قلب الكِتاب

والمنحدرات تهبط...وتعلوا

ليرتفع الفِعل المُضارع كسيدة الدُخان

لِديني يا مُفردات اللُغة

لأصير زوجاً للُغة

كَما إِمرؤُ القيس زوج الشِعر الجاهلي

لأَرسم الحُروفَ مِن طُروادة العَتيقة

اخرج من خبز الكتاب

هذه نافذة تُطل على أرض اللغة

ولا وجود لرؤيا سماءٍ أُخرى

ويواصل الفِعل تحديد الفواصل
من الأمامِ ، إلى الوراء
ومن الوراء ، إلى الوراء
يا شاعر البلد القديم...اخرج
اخرج من لحم الكِتاب
ومن بحور اللغة
ومني سال حليب الندى
اخرج من الكِتاب
يا شاعر البلد القَديم...اخرج
اخرج مِن الكِتاب

لو أني غزالةٌ

لو أني غزالةٌ
لَكُنتُ أسرع مِن هذا
كَما المَوتُ
سَريعاً سَريعاً
أمُرُ في حَضرةَ الأحياء فِيّ
لو أني غزالةٌ
لكنت قتلت فَهد الوَقت
بشذى الجُلنار المُعتق
في سَّكرة المَنفيينَ البابليين
إلى قَتلى الشُعراء المتمرسين
في شيءٍ ما
لو أني غزالةٌ
لكنتُ أكثر حميميةً

مع كِتابيَ هذا
لكنني شاعِرٌ متمرسٌ بالنسيانِ
ولا أعرفُ
كَيفَ أصيرُ...غَزالةً

حِوار مع جُندية إسرائيلية

على حاجز عسكري

أوقفتني جندية من سجن جيلبوا

قالت :من أنت ؟

قُلت :أنا دم الشهداء في غزة

وصورة نعي على حائط متسخ

في رام الله

المنفي من سوريا

ولي جسد جزائري

أنا الميت في ليبيا

ولي في جسدي زهرٌ تونسي

أنا كابوس عربي يطارد الإسرائيلي

شبح يلاحق الميت فيكم والحيّ

أنا هو العربي

قالت :هل تملك مثلنا مُستعمرة ؟

قُلت :لي مَنفيين ، ومعنىً بسيط

ولي كان حلماً يرتب لي جسدي

ولي اسم بِلا تاريخ مُميت

لستم مثلنا

ها هنا نجيد الحياة

والشَهادة لعبة كنا نمارسها قديماً

مع أُمهاتنا في الملاجئ

قالت :إيفو أتا أوليخ ؟(إلى أين تذهب)

إلى كنعان

إلى أرض اليسوع ابن مريم ، ومحمد

إلى الأصلي في هذه البلاد ، وَفيّ

إلى يافا ، وزوج المُستحيل في عكا

إلى جُلنار ابن أمي

وأمي

إلى المَنفيين من هذه البلاد

وحبيبتي

إلى آخري الشخصيّ ، وإليّ

قالت :ألم أقتلك أيها العربي ؟

قُلت :بلى

حمقاء تلك الجندية مِن سجن جيلبوا

لم تعرف أننا نُجيد المَوت سِراً

الموت السادس عشر

((كانت أنثى أيضاً لكنها ماتت))

"بيرل بيك"

الموت نُبؤة رأيتها قبل الآن

ورائحة القتلى مِن روما

خلفي ، هناك منفى

وأمامي ، هُنا منفى

فاترك وِصيتي

هُناكَ

وهُنا

وتعيش روحي في قطةً من أندلسَ

أو يمامةً من قُرطبة

تخرج من وراء الموت

إلى الرخام
كان موتي قديماً...

تقشف الليل عن قتلى الحدائق المنزوية
هذا هو النسيان يا مَلك الموت البَريء
أُريد استعادةَ اسمي القَديم
أُريد استعادةَ جسدي القَديم
أُريد استعادةَ وجهي القَديم
أُريد استعارةَ صوتٍ جديد

يا موتي الجميل ، تمهل
واصعد في أنفاسي قليلاً...قليلاً
واجعل من قبري سَنونوةً
ادخل فيها خفيفاً...خفيفاً
ليعتذر قَبري التُرابي عَن زيارته الأخيرة
يا موتي الرمادي ، تمهل
انتظرني خارج القصيدة,

أريد أن أفهم الخريطة على جسدي

إلى أي مكانٍ تذهب

وأتبرع في عَسل الأرض

وبُني عَيناي

هذا الحُلم ، زوج لحمي

كان لي حلمٌ أخاف عَليه

وحلمٌ يخافُني

وحِبرٌ من برزخَ هذا البحر الأمين

يا موتي الأخضر ، تمهل

صار لي شاهداً أعرفه ويعرفني

وتابوت أنهيت طلاءه منذ قصيدتين

عليَّ أن أُلقي قصيدة إلى أُمي

وقصيدةً إلى أُختي

وقصيدةً إلى زوجة حُلمي

وعليَّ أن أصير الشيء قبل الموت

أيها الموت السادس عشر

تقدم

تقدم للأمام...

مقهى

في المقهى ، وحدك أيها الشاعر
والمُشاة يجتاحون حُلمك
يتعرون في قصائدك
لا لست وحدك
في المقهى أنت الحقيقيّ
وكأسك يَتعرى مِثل المُشاة
ونادل المقهى يقرؤك ، ويشتمك

كم أنت حقيقيٌ أيها الشاعر في المقهى

في المقهى ، وحيدٌ
بلا آخري الشخصي
حيث أضعته في حُضن إمرأةٍ عشرينية
أقرأ جريدة بعد غد
لأستبق موتي بيومين

كم أنا حقيقي في المقهى
كم أنا وحيدٌ دون آخري الشخصيّْ
في المقهى ، لم يعد طعم التاكيلا لاذعاً
كما خبز المسيح الصلب ، تكسر
يا كلبة أوكرانيا رويدكِ
هذا صباح الموتى في جسدي
وانشقاق الفجر مني

سِر أُمي الوحيد

أمي
كخبز المسيح الصلب
مَغفرةً لقسيسها
وأنا ـ قسيس أُمي الوحيد
فلتغفر لي
يوم نقابل الموت سراً
في هذا العالم الكلب
مَثل أُوكرانيا
وأنا ـ سرُ أُمي الوحيد
في القصيدة والقصيد

***

أُمي
هي بِنتُ أُم أُمي الأولى

ترتدي حرباً

ولا أكتفي بالتحية لها

كم سنةً يا أُم قلبي

تحتاج الغزالة

لتدخل في أعماق أعماقي

وتصير سِراً كَسِّرُكِ أنتِ

مِثلي تماماً

سِرُ أُمها الغزالة

ولا حضرةً للشيء

في حضرة أُمي

***

أُمي

هي كالكَلماتٌ لا تُقتل

ولا فِكرةً تُراودها عن الغياب

وهي كبيت شِعرٍ أزرقَ اللون

لا يُدَوَّن في الكِتاب

مِثل البلاغة ، هي أُمي

***

أُمي

هي الخفيفة كالكلام

وظِل الإستعارة

هي الضعيفة مِثل الرسالة

حين تأتي في يوم عُطلة

مِن جُلنار العبارة

سأهتف :هي أُمي

إلى أن أكتب قصيدة

هذي القصيدة

في حضرة الموت

أيها الموت

هاهنا يَنُزُ من صدري

معنيين ، ومنفى

لا أجيد الحياة مثلك

ولست مثلي

واقعي

قُل لقلبك :شُكرا !

إن تذكرت اسمك

حين بللكَ المعنى

لا لِيُعجبك المجاز

بل لتكن أخر الموتى

وأولهم

***

أيها الموت

إن مشيت في جسدي

تراني أرتب الأعداد

من خلف لحمي

حين أعُد المُشاة العابرين

ومن لا يُحب الآن منهم

إن أسباب المُشاة كثيرة

لكي لا يحبوك يا موت

والشتاء يدل على

ما يلزمني من ريحٍ رطب

لأكون حياً واقعيّ

***

أيها الموت

أراكَ هناك

تقتل الواقعيين مِثلي

بِلا سببٍ

إذ تترك ثالثاً يدخل جسدي

وأنا حفيد الروح

إذ أن ظلي مثلك

لا فكرة تُراوده عن الحياة

***

أيها الموت

ليست حياتي معي

لتأخذها

لكنني أملك أكثر من هذا

قُلت للموت ، واختفيت

وشاهدتُ قلبي

يخرج من المجهول

ولا أتبين قاتلي مِن تَوأمي

عندما نكبر

في حضرة الموت

***

أيها الموت

أعرني وجهك

لا لشيءٍ

بل لتُصبح حياً

كذلك الدوريّ على شُرفة الشُعراء

الذين لا يُقتلون

فهم دليلٌ على صحة قُدرة الله

في صُنع المُعجزات

***

أيها الموت

إني الأن مِنك

وأؤمِنُ

أن لا شيء حقيقيّ

في حضرة الموت

صهيل أحصنة في وقت متأخر

هذا صهيل حصانيَّ العربيْ

أعرفه عن بُعد مِترين ضوءيينِ

أصرُخ ...

ليفهم تَوقَ البُعاد عن أحصنتهم

ثُم أتسلل إلى أمس

هو حفيد الغد

قُلتُ :أخاف أن أستعيد نفسي

وأن أتتبع دلائِل الولادة الأولى

فأجدني بِلا حصانٍ أو صهيل

ولا أستطيع لقاء الخسارة

كما يفعل المتمرسين بالنسيان

لكنَ وحشاً واقعياً

تلفَّتَ إلي

وتأتأ المُشاة في حُلمي
فانقطع صهيل الآدمي
وصوت الحصان
بعدما كانا كأغنية الضحية في القصيدة
والبلاغة تُقنع نفسي
باستعادة نفسي
قال :وما الفرق بين نفسِكَ ونفسَكَ ؟
قُلت :دهاء الشُعراء
مُعجزات الأنبياءِ فينا
ولولبيةَ الانسانيةَ الحَمقاء
قال :ومن هي أُنثى الحِصان ؟
قُلت :قصيدتي
صورتي ومِرآةُ حَقيقتي
اسمي .واسم البسيط حين ينضج
في حَضرة الموت

نشيدُ صاحِبنا

قُلت لصاحبي:

- سأرى مديح الظل في بلاغة الكلمات
والصرف
سأسمع صوتاً أنثوياً يستغيثُ
مِن العُرف
- سأُنكرُ أني سرقت القصائد كُلها
مِن شاعرٍ جاهليٍ ، وأُنكر هذا الصدى
سأبحث عَن طَريقٍ آخر
وأَدعي أنه نفس المَدى
- سأحمل نفسي على هيئة طائرٍ
مِثلي يُفتش عن نفسِه
سأسأل مُشاة الطريق :أرأيتم
رُخام اليوم يبحث عن أمسه

- سأشرب مِن دم البُعاد عن الطريق
وأكسر الإناء مِثلي
ومثلي أضاع البُعاد أسماءهم
مثلما أزهقتُ روح اسمي...
- سأنظر نحوي إلى أن أُبدد
النحو في لُغتي
سأهتف :أنا دم الشُهداء في غَزة ،
وصورةُ نعيٍ على حائطٍ مُتسخ
- سأمشي كما يفعل الشُعراء مِن
مِن جهة اليمين
سأكتُب عن كل شيءٍ يقتُل
مِثل صورتي ، وقصيدتي.
وحليب الياسمين
قال لي صاحبي:
أليس هُناك مكاناً أكثر ازدواجيةً

غَير اسم الغريب ؟
لكي ألعنُه إن شئت
بالانتقال مِن اللا مكان إلى اللا شيء
فلم أكُن أحفظ الكلمات أو أسماء الطيور
تِلك نشيد صاحبنا
كان شاعِراً
لكنه مات مِن سين الاستدراك
ولم يكترث له الشِعرُ حين مات

بنت أوكرانيا

- 1 -

في تمام الساعة السادسة في أُوكرانيا ،
كُنتُ على موعدٍ ، مع إحدى النِساء الأجنبيات
اللواتي لا يفقهن في بَلاغة الشُعراء شيئاً ،
في شارع البوابة الذهبية ، حدقتُ طويلاً في زهرةٍ
رُبما كانت على موعدٍ مع إحدى النِساء مثلي ،
تَذكرتُ ، كيف نسيت نَفسي على سَرير بِنت
أوكرانيا ، حينَ ضاجعني الموتُ شِتاءين ، وَصيف

- 2 -

لم تأت بِنت أُوكرانيا ، وحائطانِ قديمانِ يبكيانِ
على ما نَسيتُه مِن انتعال الخلاص...وندمتُ
حين نسيتُ إخبارها ، أنني نسيتُ انتظارها
بِنتَ أوكرانيا

- 3 -

فِي الانتظار ، يصعب علينا أن نُصغي
إلى ما فاتنا مِن جُرحنا الداخليّ ، ولا نكترث
لِعازف الكَمنجات فِي الشوارع المُكتظة بالمنسيينَ
مِن مَواعيدهم ، نَمشي وَلو خَذلتنا فلسفةَ المُتشردين
مِن أنفسهم

- 4 -

فِي الانتظار يَصير الأمر مُلتبساً على الشُعراء ،
بين الاستعارة والمجاز ، وَنتعلم كيف ننسى أن نُحب

- 5 -

بنتُ أوكرانيا لَم تَكُن تَشبه مايا ، فِي الهَزيع الأخير
من الانتظار ، أُصغي إلى ما فاتني مِن عَزف الكَمنجات
وأما صِفاتُ المَوت كثيرة يا بنت أوكرانيا ، مِنها تَعدُد
الأجنبيات فِي قَلبي

- 6 -

الأن ، بَعْدَكِ ...نسيتُ إخبار الزهرة عِند البوابة
الذهبية كَيف تَنسى ، وتُصلِحُ أوراقها الأُنثوية في
الخريف ، كيف تَجعل مِن وَحش الانتظار قصيدةً
غزليةً ،
وكيف تَجعل المُشاة يغتسلون في رحيقها في وقتٍ
إضافيٍ ؟؟،
جديد...

- 7 -

طال الانتظار يا بِنت أوكرانيا ، والزهرة في
شارع البوابة الذهبية ، ماتت ...كيف أُنهي
القصيدة ، بعدما ماتت زهرةٌ كان لي معها انتظارٌ ،
على شاعرٍ أخر أن يُكمل هذي القصيدة
في شارع البوابةِ الذهبية ، ماتت بِنتَ أُوكرانيا.

اغضب

اغضب

فلا مساحة لمن يموتون في صدرك

بعدما احتُلت ضلوعك

اغضب

فهذا العالم كالكلب

ينهش فيك -وفيّ-

وفينا -

وفياً كان هذا الكلب في الماضي

لكن حين تغيرت

ساعة القسيس في المقهى

حتى وفاء الكلب الهجين

تغير...

اغضب

آخر ما قاله لي إحدى الهواة   اغضب

حين فتشني سيدٌ ما

ثم سألني :ماذا في جسدك ؟

القليل من صفصاف طروادة

وصورةً لأرماندو

أسطورةً من بحرٍ بعيد

وحقيقةٌ زائفة

وشيءٌ أحتفظ به

بيني وبيني

شيءٌ يُسمى

بالغضب...

بيني ومايا حاجز من الكمنجات

بيني ومايا حاجز من الكمنجات

نِصفها بلا أوتار

ونصفها من دم وتاكيلا

لا حُلم لي غير شَعرها الليلي

وطوله الذي لا يتجاوز الحُلمين

وعيناها كجُميزة أوكرانيا

بلا أهدافٍ تسير نحوي

ونحوي صارت كنبيذ الموتى

على صدري

***

بيني ومايا حاجز من الكمنجات

كما اغتلتُ حُلمها المُشتهى ثلاثين صيفاً

علَّ الشيء صار شيئاً حقيقيّاً

والكمنجات تنكسر ليلاً

إن لم تكن مايا كَلحمي

مايا -زوجة أخر الأحلام فيّ

وأنا -آخر الأزواج من الكلمات فيها

***

بيني ومايا حاجز من الكمنجات

نهرٌ طويلٌ من نبيذ أوكرانيا

يصب في عيناها ،

مايا

تشبه الفجر في أنشقاق الفجر مني

ومني ضاعت مايا وفيّ

فكيف تصير المعجزات كلاماً عابراً ؟

وكيف تصير مايا كباقي النساء ؟

***

بيني ومايا حاجز من الكمنجات

يقتلني ، وأقتله

ومايا تصيح في صدر اللحن أهدأ

كان هذا حبيبي فيما مضى

فينكسر شيئاً ما في عُضويَّ العاطفيْ

مايا ـأحبكِ

سبعين حياة لو خُلقتها

أحبكِ جداً

وأعرف أني تورطت كثيراً

بِحُبكِ الفوضويُّ مايا

كزوج الرخام من الركام

من عظام أسخيليوس

كعزف الكلارينيت والكمنجات

على صدري حين أحتسيت النبيذ

على شرفة قبري

ظننت أنني انتصرت

فأعترفت مثل المراهق

يولد مني مقهى وحوارين

يولد مني مقهى ، وحوارين

فصارا جزءاً من لحمي

- يا ساعة الحائط في المقهى رويدك

علَيَّ إنهاء المساء

- يا نادل الحوارين تريث قليلاً

ريثما أحيا بعيداً عن الروح ، ومعطفي

- كم مرة علَيّ انتظار اللحظة في الجنوب ؟

وكم آدمياً علَيَّ أن أقتل

تحت شجرة التين الوحيدة ؟

يا مقهى قلبي ، وحوار روحي

أعيدوني إلَيّ

- هل يبدأ كل شيءٍ من جديد ؟

قالت روحي

ساعة الحائط ـ النادل ـ أنا ـ

المقهى ـ والحوارين

كل شيء سوف ينتهي

حين نطير من رخام الجهات

إلى سَفح الجبل

وطرف الموت في رام الله

- يا نادل الحوارين تقدم

قال الموت للنادل وهم يعبرون شوارع الدم الأخضر ، والأجساد في أوكرانيا

- سأدخل بعد صيفاً مِن الشتاء

قال نادل الحوارين

- سأكون خلف المِرايا تماماً

قالت ساعة الحائط

- جئت قبل الموت أو بعده

أنا أول القتلى وأخرهم

أقول أنا

فلم أجد أحداً يُصدق ميلادي الأول

عنقاء اسمي ، ولغتي

لا زلت حياً

لم يسألوا

ماذا وراء اسمي...ولغتي؟

فيخرج من الماء خبزٌ صلبٌ

كخبز المسيح الفَجّ

حين حدقت في مِرايا المَوت

طويلاً

طويلاً...

ولم أكن أخر الشُهداء في اللغة

لكنني أخاف من حُلمي

ومن الفراغ في الآدميين

المُزيفيين

لستم مِثلي حقيقيين

ها هنا

ينُز المعنى

من المنفيين من منفى

ومنفاً وألف معنى

وأنا ، إن شئتُ صرت غيري

كغيري

لا أدري

من أين يأتي الحُب

والحُب إن يأتي

يَنُز المعنى

ها هنا

شارع بلا تقاطع

شاهدت انعكاس صورة صورتي

رَجِعتُ ثلاثين حرباً ، وَعُدتُ

وأعددتُ

موتي الجميل

وناديتُ

عن طفلٍ داخلي

كان النداء طويل

فكرت في الرحيل طويلاً

لكن الشِتاء لن يمتصنا من ربيعٍ ما

نحن الآن في قصائد ليست لنا

لنا ما وجدنا في حُلمنا

ولنا شيءٌ هناك وأخر هُنا

شارع البيت القديم تَغير

عنواني الآن في لندن

تحت ظل حديقة الملجأ

هناك سلة رخام ،

على عُنق سنديانةً

دمع تحيتها تسيل

سلاماً لضفائر شعرها

أُحبك يا أجنبية

لكن شارع بيتي القديم بلا تقاطع

ولا مساحة لكِ في حُلمي

إذ ترحلين تتركين لي حرفين

أغتسل فيهما

إلى أن يجف المعنى في قلبي

ولا أعرف معناهُن

ربما أختصاراً لجملةٍ ما

آه........لندن

نسيت...

أنك لَستِ مني

وأنا لَستُ مِنكِ

السير بين الصدى والمدى

السير بين الصدى والمدى

كان سرنا

فرس النهر لا زال يحفظ اسمنا

وجدار الصخور يخفي هشاشتنا

وراء الباب عصفور

يجعل من ثقافتي صفرا

ماذا تبقى منك غير شيء لا أراه ؟

وأنتِ تكسرين الكلام فوق أصابعي

اشتهيت أن تشردنا الرياح إلى بحر لا فجر فيه سواك

***

انكسري الآن من سماءٍ زرقاء

إلى صنوبرةٍ لا تبوح بسري

انتشري على جسدٍ تغطيه علامات الحروب

- هل نجوت ؟
- هذا يعود لقائد الحرب الكبير
- من هو ؟

قلبي أم هناك أخرى ؟

- الآلاف منهن ...

من قرطبة ، الأندلس ، بيروت ، باريس ،

وشوارع لا تحصى

وبلاد بعيدة

- أكلما زرت مدينة أحببت واحدة ؟
- بل في كل مدينة تركت قصيدة

وبعد ثلاثين شتاء

صارت القصائد...

حبيباتي

***

ليس قلبي زورقاً ،

أو صدري محيط

ليت القنديل أزرقاً ،

ليغيب الفجر حين يغيب

***

حبيبتي وأنا شيآان متشابهان

نحن الواقفين فوق ظل ملائكي

أحرقنا مراجعنا لكي لا تقودنا عائدين

إلى الحرب التي لا تنتهي

أرى من هذا المَمر ثلاثين نجمة

وغيمة ، وسبعين سماء

مرايا الوقت بنوها بيننا ليقتلوا الموت

وحَملوا سِراً

كان السير بين الصدى والمدى

كل شيءٍ سوف يبدأ من جديد

كل شيء سوف يبدأ من جديد

ويعيد ترتيب القصائد من الجنائز

حيث يذبحون صورة القمر الأخيرة

ليبدأ الليل من جديد

وتولدُ الآن مني سماء

لأصطاد الدوريَّ الأخير

بعد هيهةٍ كل شيءٍ سوف يبدأ من جديد

ونمرر الأيام من أجسادنا

كالطيف نمشي منا...إلينا

سنعيد تكوين الحلم البعد الأخير

ليمضي كالنساء القُدامى

حافياً في طريق روحه

ونعيد قراءة الآيات الإنجيلية

لن ننسا أنفسنا ...

مثلما ذهب السابقون إلى أرض الأموات

ولا إمرأةً

إن مَسَّها غيمٌ صاحت:

أنا طليقة الأبد

ونوارس الأرض القديمة تُعيدني

إلى حيث كان الحب صفصافاً

على أرصفة الطريق

كان شيئاً سيحدث

لولا ...

أن كل شيءٍ سوف يبدأ من جديد

حديثاً عابراً بيني وبيني

لنسدل الستارة قبل هذا الليل

إمتداداً لروحٍ غامضة

وإحتفالاً لموتٍ بسيط

إنني أنتظر

خارج هذا السرداب الطويل

الطويل...

تأخر القطار عن موعدنا حرباً كاملة

جلسنا ساعةً على طرف السكة الحديدية

انسجمنا ،

رقصنا رقصةً جماعيةً

ثُم قَتَلنا سيداً ما

هذه الأرض السماء لي ،

ولي خارج داخلي ،

وداخل داخلي

ومدينةً ، وقصيدةً

قالها لي البحر في إبريل وقت المساء

قبل هذا الليل أعرت أسمائي كُلها

- ماذا يقول الليلُ لي؟

غير الكلام المرسوم على جذع صورة

فأعرته وَجهي

وجهان مُختلفان

أريد ما أرى من هذا الممر الطويل

البعيد

الطويل

صلاة الغزال عليّ ،

وعليَّ دعاء النوارس

وجه روحي الآن جَدول ماء

دَّثريني -زَّمليني-

صار السجن بارداً

قمح الزنازن لا يُؤدي إلى مكان

ومرآةُ الموت تعكس صورتي

أنت لست

أنا

وأنا

أنا

أنت هناك

وأنت هنا

وأنا

هنا

كان هذا حديثاً عابراً بيني وبيني

عناوين هذا الشارع تغيرت

علي أن أخرج مني

وأنظر من خلالي

لأُنهي حديثاً عابراً بيني

وبيني...

هذا ما وجدنا عليه أبائنا

وَحدكَ أيُها الإله

سَتُرتب الأخطاء في جَسدي

لستُ رَبَّ الأرض

لأغفر الأخطاء الملائكية

لكنني أعرف كيف يصير

الغُفران من إلهٍ لعبدٍ بسيط

هذه قُدرة الله في صُنع المُعجزات

ولسنا سوى أحفاد لهذا التاريخ

ولا نَستحق المَغفرة

بعدما قَطفنا نهايتنا

مِن على شجرة في الجنة

فَنُفيْنا إلى هذه الأرضَ الكَلبة وهذا ما وَجدنا عليه آباءنا

انتظار إصدار العفو الإلهي

لو نستطيع فعل شيء

آه ، لو نستطيع أن نحقق

شيئاً

في هذا العالم الساقط

مِثل رقصة سالسا جماعية

أو كسر حبة شوكولاته ساخنة

خلع ملابسنا في الشارع

والصراخ بآنا عُراة

كسر زجاج سيارة

والهرب إلى أمهاتنا باكيين

أو بيع ألعابنا القديمة

لشراء حذاء يُضيء

آه ، لو نستطيع نسيان

طريق الموت المعلب

والحزن الدفين

أو ، يغلبنا النعاس

ونتغيب عن عملنا الحقير

ولا نهتم بقوتنا اليومي

أن ننسى باب المقهى

وندخل بالخطأ

إلى محل للملابس النسائية

آه ، لو نستطيع تذكر

أول حصة جغرافيا

أو صوت جرس انتهاء اليوم الدراسي

كيف نُقبل صديقاتنا

في غرفة الصف ، وكيف

نخشى أن ترانا المُعلمة

كيف كنا نسيطر على ضحكاتنا

ونبقيها رقيقة ودافئة

آه لو نستطيع أن نحلم

في أي وقت مُتأخر

لو نستطيع فعل المستحيل

لو نستطيع

فقط ، لو نستطيع

رُبما ،

لكُنا حقيقيون

عندما يزورنا الموت في المقهى

عندما يموت أحد أصدقائنا في المقهى

سنغلق المقهى ، ونكسر طاولتنا

سنبرح النادل ضرباً

سنقلع عن التدخين ،

والقهوة

نُغلق رام الله ثلاثة أيام ،

لنحتفل

لا لشيء

فقط لكي لا نشبع رغبة الموت أكثر

سنجلس أمام نافذتنا الزجاجية ،

ونثمل

سنعود في وقتٍ مُبكر

لنموت نحن أيضاُ

سنقتل صاحب المقهى

ونشرب أخر كأس نبيذ على قبره

سنكتب رسالة نصية إلى الموت ،

ونشتمه

عندما يموت أحد أصدقاءنا في المقهى

سنموت موتاً جماعياً ،

بعد رقصة السالسا

المحتويات

في حضرة الموت

شعر

عماد الدين غانم



عمان - العبدلي - مركز جوهرة القدس التجاري

تلفاكس: ٤٦٥٩٨٩١ ٦ ٠٠٩٦٢ - خلوي: ٩٥٧٤٧٤٦٠ ٧ ٠٠٩٦٢ - ٩٦٢٩٥٤٥٧ ٧ ٠٠٩٦٢

ص.ب ٩٢٧٤٨٦ عمان ١١١٩٠ الأردن

E-mail: dar_jenan@yahoo.com